تأليف: فاطمة شرف الدين
رسم: تينا مخلوف

في بلاد عجيبة

©حقوق النشر والتوزيع محفوظة
دار النهضة العربية
أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2012
ISBN: 978-614-402-502-4
تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان
infos@asala-publishers.com

في بلاد عجيبة

تأليف: فاطمة شرف الدين

رسم: تينا مخلوف

هُناكَ في النّاحِيَةِ الأُخْرى مِنَ الأَرْضِ، بِلادٌ عَجيبَةٌ. في تِلْكَ البِلادِ، كانَ كُلُّ مَوْلودٍ جَديدٍ يولَدُ في فَمِهِ مِلْعَقَةٌ.

فَهُناكَ مَنْ يُولَدُ وفي فَمِهِ مِلْعَقَةٌ مِنَ الذَّهَبِ، وهُناكَ مَنْ يولَدُ بِمِلْعَقَةٍ مِنْ فِضَّةٍ، أو مِنْ نُحاسٍ.

أما أَقَلُّ النّاسِ حَظًّا، فَهُوَ مَنْ يولَدُ بِمِلْعَقَةٍ مِنْ خَشَبٍ. وهذا يَكونُ مِنْ أَفْقَرِ النّاسِ.

سارَةُ واحِدَةٌ مِنْ هَؤلاءِ الفُقَراءِ. فَهِيَ ابْنَةُ المُزارِعِ الّذي يَهْتَمُّ بِكُلِّ مَزارِعِ مَلِكِ البِلادِ وبِحَدائِقِ قَصْرِهِ.

كانَتْ سارَةُ عازِفَةَ عُودٍ بارِعَةً.
«ما أَجْمَلَ أَلحانَكِ!» يَقولُ كُلُّ مَنْ سَمِعَها تَعْزِفُ في حَديقَةِ القَصْرِ.
أَكْثَرُ مَنْ كانَ يُحِبُّ عَزْفَها هو الأَميرُ مَجْدٌ، ابْنُ مَلِكِ البِلادِ العَجيبَةِ. وكانَ هذا الأَميرُ وَلَدًا مُدَلَّلاً في فَمِهِ أَجْمَلُ مِلْعَقَةٍ ذَهَبِيَّةٍ رَأَتْها المَمْلَكَةُ.

«كَمْ نَحْنُ فَخورانِ بِكَ يا مَجْدُ!» كانَ يُرَدِّدُ أَبَواهُ المَلِكُ والمَلِكَةُ.

وَكانا يُخَصِّصانِ يَوْمًا في الشَّهْرِ يَأْتي مَنْ يُريدُ مِنْ سُكّانِ البِلادِ العَجيبَةِ لِيُشاهِدَ الأَميرَ الّذي وُلِدَ وفي فَمِهِ أَجْمَلُ مِلْعَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ.

أمّا هذا الأَميرُ فَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ لِكُلِّ هَؤلاءِ المُعْجِبينَ بِهِ. بَلْ كانَ يُحِبُّ الرَّكْضَ واللَّعِبَ والغِناءَ والضَّحِكَ، فَيَقْضي أَغْلَبَ وَقْتِهِ في حَدائِقِ قَصْرِ أَبيهِ مَعَ صَديقَتِهِ المُفَضَّلَةِ سارَةَ. عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، وَبَعْدَ انْتِهائِهِما مِنَ اللَّعِبِ، كانَتْ تَبْدَأُ سارَةُ عَزْفَها العودَ، والأميرُ مَجْدٌ يُغَنّي. هِيَ تَعْزِفُ وَهُوَ يَتَراقَصُ.

حينَ كَبِرا وصارا بِعُمْرِ الزَّواجِ، قالَتْ سارَةُ لِلْأميرِ مَجْدٍ: «لَيْتَنا نَتَزَوَّجُ وَنَرْحَلُ لِنَعيشَ في بِلادٍ لا يَخْتَلِفُ النّاسُ عنْ بَعْضِهِمْ بِاخْتِلافِ مَلاعِقِهِمْ.

«شْشْشْ! أَخْفِضي صَوْتَكِ!» هَمَسَ الأَميرُ مَجْدٌ. «إنَّ أبي المَلِكَ لَنْ يَقْبَلَ بذَلِكَ أَبَدًا!»

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ سارَةُ: «وَمَنْ قالَ إِنَّنا سَنَطْلُبُ إِذْنَهُ بِذلِكَ؟ نَحْنُ لَسْنا بِحاجَةٍ إِلَيْهِ. نَرْحَلُ مِنْ هُنا ولا نَعودُ أَبَدًا!»

«اقْتِراحُكَ خَطيرٌ جِدًّا يا سارَةُ. دَعيني أُفَكِّرْ بِالمَوْضوعِ.» هَمَسَ الأَميرُ ثانِيَةً.

ذَلِكَ المَساءَ، كانَ مُرافِقُ الأَميرِ قَدْ سَمِعَ كُلَّ هذا الكَلامِ. فَأَسْرَعَ وَوَشى بِفِكْرَةِ سارَةَ لِمَلِكِ البِلادِ العَجيبَةِ.

غَضِبَ المَلِكُ غَضَبًا شَديدًا لِوَقاحَةِ ابْنِهِ الأَميرِ وَابْنَةِ المُزارِعِ ذاتِ المِلْعَقَةِ الخَشَبِيَّةِ.

«أَعْزِلوا الأَميرَ مَجْدًا في أعْلى غُرْفَةٍ في القَصْرِ! يَجِبُ أَنْ يُعاقَبَ عَلى جُرْأَتِهِ في التَّفْكيرِ في المُغادَرَةِ وَخِيانَةِ بِلادِنا العَجيبَةِ.» وَأَمَرَ حُرّاسَهُ بِإِبْعادِ سارَةَ عَنِ القَصْرِ: «خُذوها إلى ما وَراءَ الغابَةِ، ولا تَدَعوها تَعْرِفُ طَريقَ العَوْدَةِ!» وَهَكَذا حَصَلَ.

حينَ صارَتْ سارَةُ وَحيدَةً في النّاحِيَةِ الأُخْرى مِنَ الغابَةِ، مَشَتْ لِساعاتٍ مُحاوِلَةً العَوْدَةَ إلى القَصْرِ. لا جَدْوَى. رَكَضَتْ شِمالاً، رَكَضَتْ جَنوبًا، لَكِنَّها لم تَهْتَدِ إلى الطَّريقِ. صَعَدَتْ شَجَرَةً عالِيَةً لِتَبْحَثَ عن أَنْوارِ القَصْرِ مِنْ بَعيدٍ. لا شَيْءَ. هَبَطَتْ. صَعَدَتْ شَجَرَةً أَعْلى. أَيْضًا لا شَيْءَ!

عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ، جَلَسَتْ عَلى جِذْعِ شَجَرَةٍ، حَمَلَتْ عودَها وَبَدَأَتْ تَعْزِفُ.

عَزَفَتْ وَغَنَّتْ هذِهِ الأُغْنِيَةَ:

أنا سارَةُ في الغابَةِ وَحْدي
رَفيقُ دَرْبي هُوَ عودي
أَعْزِفُ لَحْني لِلْفَراشاتِ
وَأَشْكو هَمّي لِلشَّجَراتِ
أَضَعْتُ أَميري...
بِسَبَبِ مِلْعَقَةٍ خَشَبِيَّةٍ.
أَضَعْتُ أَميري...
كَيْفَ أُعيدُهُ إِلَيَّ؟

حين أنْهتْ سارةُ الأُغْنيةَ، لاحظتْ كلْبًا يقْتربُ منْها وفي فمه عظْمةٌ. وضع الكلْبُ العظْمةَ بيْن يديْها، فرأتْ أنّها سحْريّةٌ مليئةٌ بالصُّور. وحين تمعّنتْ بها، كان بإمْكانها أنْ ترى الأمير مجْدًا منْ خلالها.

«كمْ نحل جسْمُهُ وشحُب وجْهُهُ!» قالتْ.

ثُمّ حدّقتْ أكْثر وصرختْ: «لا أُصدّقُ! إنّهُ يبْكي... الوقْتُ ليْس وقْتَ البُكاء الآن! على مجْدٍ أنْ يتصرّف بدل بُكائه هذا!»

«عليّ أنْ أفْعل شيْئًا. عليّ أنْ أجد طريقةً للْعوْدة سريعًا،» فكّرتْ سارةُ.

عنْدها، أمْسك الكلْبُ بطرف تنّورتها الحمْراء، وبلُطْفٍ، جرّها كيْ تتْبعهُ.

مشتْ سارةُ مع الكلْب ساعتيْن، إلى أنْ وصلا إلى قمّة جبلٍ كبيرٍ، وكان اللّيْلُ قدْ حلّ.

عنْدها، نطق الكلْبُ لأوّل مرّةٍ: «اسْتلْقي هُنا يا سارةُ.»

تعجّبتْ سارةُ لسماع كلْبٍ يتكلّمُ. لكنّها بقيتْ صامتةً، فأكْمل الكلْبُ كلامهُ:

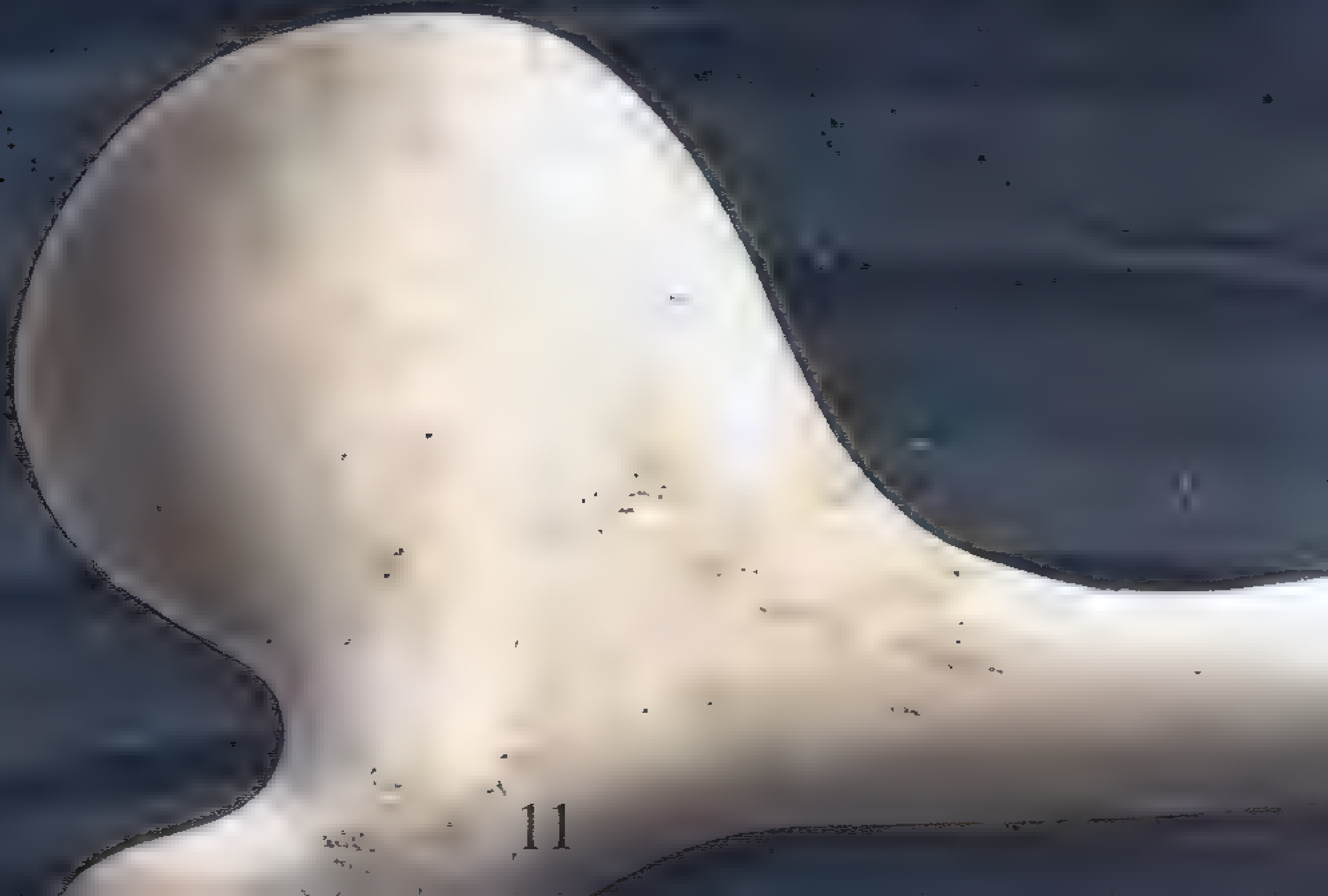

«اللّيْلَةُ هي لَيْلَةُ الشُّهُبِ. وفي هذه اللّيْلَة بإمْكانك أنْ تتمنّي ما تَشائين بشرْطٍ واحدٍ فقط: عليْكِ أنْ تبْقيْ صاحيةً كُلَّ اللّيْلِ لكيْ تشْهدي حركات كُلّ الشُّهُبِ في السّماء... هُناكَ عشراتٌ منْها... مئاتٌ... ألُوفٌ. يجبُ ألاّ يغيبَ نظرُكِ عنْ أيّة واحدةٍ منْها، وإنْ حصلَ ذلكَ، لنْ تتحقّقَ أُمْنيتُكِ أبدًا.»

اسْتلْقتْ سارةُ بجانبِ شجرةٍ عتيقةٍ، ونظرتْ إلى النُّجومِ في السّماءِ.

شهقتْ منْ جمالِ المنْظرِ...

عددٌ لا يُحْصى من النُّجومِ يتلألأُ في السّماءِ منْ فوْقِها. نُجومٌ كبيرةٌ، صغيرةٌ، منْها برّاقةٌ جدًّا، ومنْها برّاقةٌ أكْثر. ابْتسمتْ سارةُ وتمنّتْ:

«أتمنّى لكُلِّ الملاعقِ الذّهبيّةِ والفضّيّةِ والنُّحاسيّةِ والخشبيّةِ أنْ تخْتفيَ منْ أفْواه النّاسِ في بلادنا العجيبة.»

ما إنِ انْتهتْ منْ لفْظِ أُمْنيتها حتّى رأتْ أوّلَ نجْمةٍ تسْقطُ! إنّهُ الشُّهُبُ!

هذه نجْمةٌ أُخْرى! شُهُبٌ إلى اليمينِ. إلى اليسارِ. هذا مُتّجهٌ شمالاً. وذاكَ جنوبًا. شرْقًا... غرْبًا...

بقيتْ سارةُ تُحدّقُ في السّماءِ من دونِ أنْ تُغْمضَ عيْنًا لساعاتٍ وساعاتٍ. شهدتْ تحرُّكَ عشراتِ الشُّهُبِ، مئاتٍ، آلافِ الشُّهُبِ!

بعْدها، لاحظتْ ضوْءًا مُخْتلفًا في السّماءِ. حوّلتْ سارةُ عيْنيْها إليْه، فرأتْهُ. القمرُ. لقدْ أطلّ على السّماءِ ليُشعّها أكْثر... وعنْدها بدأتِ النُّجومُ تُخْفتُ تلألُؤها، ليحُلّ القمرُ محلّها. تأمّلتْ سارةُ القمرَ الفضّيَّ الجميلَ.

لكنّ القمرَ، هُو الآخرُ، بدأ يُخْفتُ نورهُ بعْد مُدّةٍ اسْتعْدادًا لاسْتقْبالِ منْ سيُنيرُ النّهارَ الجديدَ: الشّمْسُ.

«ما أَجْمَلَ هذِهِ اللَّيْلَةَ! ما أَرْوَعَ طُلوعَ هذا النَّهارِ الجَديدِ!» قالَتْ سارَةُ.

وما هذا؟ لاحَظَتْ سارَةُ شَيْئًا مُخْتَلِفًا جِدًّا فيها: لَقَدْ اخْتَفَتِ المِلْعَقَةُ الخَشَبِيَّةُ مِنْ فَمِها! لَقَدْ تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَتُها! لَقَدْ تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَتُها! صارَتْ تَقْفِزُ مِنَ الفَرَحِ.

أَيْنَ الكَلْبُ لِتَشْكُرَهُ؟ ها هُوَ يَقْتَرِبُ مِنْها والعَظْمَةُ في فَمِهِ.
وَضَعَ الكَلْبُ العَظْمَةَ بَيْنَ يَدَيْها، فَرَأَتْهُ. رَأَتِ الأَميرَ مَجْداً من دونِ مِلْعَقَتِهِ الذَّهَبِيَّةِ. رَأَتْهُ هو أَيْضاً يَقْفِزُ مِنَ الفَرَحِ.
عِنْدَها، أَمْسَكَها الكَلْبُ بِطَرَفِ تَنورَتِها الحَمْراءِ، وَبَدَأَ يَرْكُضُ بِها صَوْبَ القَصْرِ.
حينَ وَصَلا إلى القَصْرِ، وَدَّعَ الكَلْبُ سارَةَ بِانْحِناءَةٍ مِنْ رَأْسِهِ، وَضَعَ عَظْمَتَهُ في فَمِهِ، وَراحَ يَرْكُضُ بَعيدًا إلى أَن اخْتَفى.
«لَنْ أَنْساكَ أَبَدًا.» صَرَخَتْ سارَةُ كَيْ تَصِلَ كَلِماتُها إلى الكَلْبِ. ثُمَّ نَظَرَتْ مِنْ حَوْلِها.
يا لَفَرْحَتِها! لَقَدِ اخْتَفَتْ كُلُّ المَلاعِقِ الذَّهَبِيَّةِ والفِضِّيَّةِ والنُّحاسِيَّةِ والخَشَبِيَّةِ مِنْ أَفْواهِ أَهْلِ البِلادِ العَجيبَةِ.
رَأَتِ الأَميرَ مَجْداً جالِسًا في الحَدائِقِ يَنْتَظِرُها. وما إن رَآها حَتّى رَكَضَ إِلَيْها، فَأَمْسَكَتْهُ سارَةُ بِيَدِهِ، ودَخَلا القَصْرَ.
هُناكَ، رَأَتْ أَنَّ المَلِكَ قَدْ تَغَيَّرَ هُوَ أَيْضاً. طَبْعاً لَقَدْ زالَتْ مِلْعَقَتُهُ هُوَ الآخَرُ، لَكِنَّ شَيْئًا آخَرَ كانَ مُخْتَلِفًا فيه. فَهُوَ يَبْتَسِمُ لَها ابْتِسامَةً عَريضَةً. أَعْرَضُ ابْتِسامَةٍ رَأَتْها عَلى وَجْهِهِ مُنْذُ أَنْ عَرَفَتْهُ وَهِيَ طِفْلَةٌ.

بَعْدَ أَيّامٍ قَليلَةٍ على عَوْدَةِ سارَةَ واخْتِفاءِ المَلاعِقِ كُلِّيًا مِنْ أَفْواه النّاسِ في البِلادِ العَجيبَةِ، جَهَّزَ المَلِكُ والمُزارِعُ أَكْبَرَ حَفْلِ زَفافٍ عَرَفَتْهُ البِلادُ لِسارَةَ ومَجْدٍ..

وَبَعْدَ الزَّواجِ بِمُدَّةٍ، أَنْجَبا طِفْلَهُما الأَوَّلَ... وَلَدٌ في يَدِهِ... مِعْوَلٌ!

(قِصَّةُ المِعْوَلِ مَزْحَةٌ... وُلِدَ طِفْلُ سارَةَ ومَجْدٍ.. من دونَ أَيِّ شَيْءٍ في فَمِهِ، أَوْ في يَدِهِ.. وُلِدَ مَعَ ابْتِسامَةٍ عَريضَةٍ، تُشْبِهُ ابْتِسامَةَ جَدِّهِ.)

ISBN 614-402-502-4
9 786144 025024
Book # A 622
أصالة
للنشر والتوزيع